ČČĐ

معالم القرآن والسنة

مجلة محكمة

السنة التاسعة، العدد العاشر ٢٠١٤م

نجم عبد الرحمن خلف*

ساجدة حلمي سماره**

وسطية الإسلام في التعامل بين الحاكم والمحكوم

Abstract

Islamic religion has been taking good care of political issues as well as other issues. Therefore, we can find verses in Quran about governance, judiciary and peace, with other verses about prayers, zakat and decency. All those verses can be linked together with one common link, true devotion to Almighty Allah, unity in accepting everything from Him, a righteous attemption to build life according to the best standard, similar to what have been prepared to our hereafter and for meeting our Lord. There are many verses in Quran about governance and succession, as well as managing people justly. Political sides of Islamic nation in the modern era are imponderable between push and pull, and between bickering and hypocritical. It has been identified that the moderation, balance and moderation of what Allah intended to have been lost. Hence, examples of cooperation between the ruler and the rule in Islamic history that embodied three cases: 1. moderation and balance, 2. flattery and adulation, and 3. resistance and brawl. These are the major problem statement for this paper. This paper focuses on bringing back all muslims to the moderate model of politic that has been prescribed and legislated by Islamic teachings. Political issues such as the responsibilities of the ruler and his specifications, as well as the responsibilities of the followers and their obeyance, are described in this paper according to Quranic verses, Prophet's traditions, and traditions of the first three centuries of this Islamic nation, as these sources contributed to the real understading of Islamic teaching.

* الأستاذ المشارك بكلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

** الأستاذ المساعد بكلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المقدمة:

المنهاج الإسلامي القائم على الإيمان بالله، ووحدانيته، وتنزيهه، وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة هو وحده الذي يضمن للبشر أن يتخلصوا من عبادة غير اللـــه عز وجل. وهو المنهاج الوسط الذي لا إفراط فيه، ولا تفريط، ولا غلو، ولا تقصير.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾.[1] وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ، فهي أمة العدل والاعتدال، التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يميناً أو شمالاً عن خط الوسط المستقيم.

هذه الوسطية في التشريع الإسلامي، في عقيدته وعباداته ومعاملاته وأحكامه وتشريعاته، جعلت منه تشريعاً صالحاً للناس في كل زمان ومكان، يجنب الأمة الغلو والشطط الذي نراه في كثير من شرائع البشر التي تختلف وتتعارض بحسب الزمان والمكان، والظروف والأهواء.[2]

وآيات الحكم والاستخلاف، وسياسة الناس بالعدل، وما يتعلق بذلك كثيرة وافرة في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى مخاطبا داود عليه السلام محددا وظيفته ومهمته: "ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب" [3]

---

[1] القرآن الكريم، سورة البقرة، ٢:١٤٣.

[2] د فالح بن محمد الصغير، شبكة السنة النبوية وعلومها
http://www.alssunnah.com/main/articles.aspx?article_no=4435

[3] القرآن الكريم، سورة ص،٣٨:٢٦.

ظل الجانب السياسي للأمة الإسلامية في العصور المتأخرة متأرجحا بين الشد والجذب، وبين المناكفة والمنافقة، وضاعت الوسطية والاتزان والاعتدال الشرعي الذي أراده الله لعباده. وهذا الفهم يتحدد في معنيين هما:

الأول: الخيرية والأفضلية.

الثاني: التوازن والعدل والقيام بالحق، والبينية بين الإفراط والتفريط.

وكلا المعنيين داخل في الآخر، فإن الخيرية والأفضلية لم تتصف بها هذه الأمة إلا لكونها قائمة بالعدل والقسط والحق، ولكونها وسطا بين الغالي والجافي. وكل من قام بالعدل والحق فهو الأولى بصفة الخيرية والأفضلية.

والوسطية والعدل والبينية تقتضي أن يكون هناك طرفان مذمومان يكتنفان الوسط والعدل.

أحدهما: يترع إلى الغلو والإفراط.

والآخر: يترع إلى التفريط والإضاعة والجفاء.[٤]

وفي تاريخنا الإسلامي الكثير من الدروس والعبر، والكثير من الأمثلة التي تجسد الحالات الثلاث في التعامل بين الحاكم والمحكوم، أي الاعتدال والاتزان الذي وجهتنا إليه الشريعة، ووجهتي التطرف والاختلال؛ بين المداهنة والتملق وبذلك تضيع الآخرة، والمصادمة والتمزق وبهذا تضيع الدنيا، ولربما يضيع كلاهما في غالب الأحيان. وهذه هي مشكلة البحث الأساسية. والمسلم الصالح الواعي يدعو ربه فيقول: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار". وتكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة العودة بالمسلمين إلى الوسطية السياسية التي شرعها لنا إسلامنا بمناهجه المتزنة المتميزة.

---

[٤] http://www.alssunnah.com/main/articles.aspx?article_no=4435

شبكة السنة النبوية وعلومها، أ.د فالح بن محمد الصغير

وفي القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة من التوجيهات المباركة التي تكفل سعادة الدارين للحاكم والمحكوم، وتهدي كلاهما إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

وفي أقوال وأفعال السلف الصالح عموما، ورجال القرون الثلاثة الفاضلة خصوصا رصيد قيم متميز، يتسم بالفهم الكامل، والوعي الشامل لمقاصد الكتاب والسنة، ويمثل الانطباع الصادق الأصيل لما فهموه منهما. لذا فإننا نرى أن أقوال وأفعال هؤلاء الصفوة أفضل الذخائر، وأوضح المعالم لفهم كتاب الله وسنة رسوله الأمين ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

مفهوم الوسطية:

الوسطية في اللغة مشتقة من مادة (وسَط)، ولفظة (وسط) وما شابهها من مشتقات أخرى (كواسط وأوسط، ووسيط، وواسطة، ووساطة) تطلق في اللغة على معنيين:

المعنى الأول: بديهي وعام، يقصد به مجرد التوسط بين شيئين مطلقا، معنويا كان أو حسيا، كقولهم: فلان يقوم بدور الوسيط أو الوساطة بين خصمين.

والوسطية مترلة بين طرفين كلاهما مذموم: فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والسخاء وسط بين التبذير والتقتير.

المعنى الثاني: هو المعنى الخاص، حيث يراد به ـــــ في لغة العرب ـــــ الأعدل، والأفضل، والأحسن، ومن ذلك قولهم: فلان وسط قومه، أي: من أحسن القوم وأخير الناس، وقولهم عن ﷺ أنه كان من أوسط قومه نسبا وشرفا.

الوسطية في الشرع: بمعنى العدالة والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾، أي عدلا، والمراد: بلغتم القمة في الشرف والذرى.

ويفهم من هذا أن أوسط الشيء أفضله وأحسنه وأخيره،كوسط المرعى فإنه خير من طرفيها، وكوسط الدابة للركوب فإنه خير من طرفيها لتمكن الراكب[٥].

العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام:

تقوم العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام على عدة أسس أهمها الاحترام المتبادل بين الحاكم والمحكوم، وأن يكون أساسها حب الشعب لهذا الحاكم والرغبة في وجوده واستمراره، ومشاركة الحاكم أعباء حكمه.

قيام العلاقة على احترام الشعوب

الإسلام يريد للفرد أن يكون مستقل الشخصية، ويريد للشعوب أن تكون مستقلة الشخصية أيضاً؛ ألاّ تكون قطيعاً يسوقه سائق بعصاه، اسكت يسكت انطق ينطق، امش يمشي، تحرك يتحرك، اسكن يسكن، فما هكذا تكون الشعوب، خصوصاً في ظل الإسلام وتحت راية القرآن، فالشعب المسلم ليس قطيعاً، بل الشعب المسلم له رأيه وفكره، و إرادته، ففي الإسلام لابد من إمارة ولابد من حكم.

---

[٥] http://www.alssunnah.com/main/articles.aspx?article_no=4435
شبكة السنة النبوية وعلومها أ.د فالح بن محمد الصغير

قيام العلاقة على المشاركة

ولهذا قال النبي ﷺ في أبسط الأمور وأيسرها في السفر "إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا أحدكم" أي لو كنتم مسافرين فاجعلوا واحدا أميركم، ترجعون إليه ولكن ليس معنى هذا أن يستبد هذا الأمير بالأمر، وينفِّذ رغباته ويضرب بإرادة الآخرين عرض الحائط ولكن تقوم العلاقة في الإسلام على مشاركة الرعية للراعي، المرؤوسين للرئيس، المحكومين للحاكم، يجب أن يشتركوا فيما بينهم حتى تقوم العلاقة على أساس المحبة بين الحاكم والمحكوم.

قيام العلاقة على الحب المتبادل:

فالنبي ﷺ يقول "خيار أئمتكم- أي أمرائكم ورؤسائكم- الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ـــ أي تدعون لهم ويدعون لكم ـــ وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم" كراهية متبادلة ولعنة متبادلة من الفريقين، ما هكذا يريد الإسلام، النبي ﷺ يقول "ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً" يعني لا تُقبل هذه الصلاة لا تفتح لها أبواب السماء ولا يتقبلها الله من أصحابها أول هؤلاء الثلاثة "رجل أمَّ قوم وهم له كارهون" إمام يصلي بالناس والناس تكرهه، تصلي وراءه ولا تحب أن تراه ولا أن تسمعه، لأنه مفروض عليهم، فإذا كان هذا في الإمامة الصغرى، فكيف بالإمامة الكبرى، كيف بالذي يأتي رغم أنف الناس وهم يلعنونه وهو يلعنهم، ويبغضونه وهو يبغضهم، ويتمنون أن يتخلصوا منه، ليس هذا هو الذي يريده الإسلام"[٦].

---

[٦] http://www.onislam.net/arabic/ask-the-scholar/8439/8299/49419-2004-08-01%2017-37-04.html

وسطية الإسلام في التعامل مع الحاكم الصالح

لقد قرن الله سبحانه طاعته وطاعة نبيه ﷺ بطاعة أولي الأمر من الحكام. وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب طاعة أولي الأمر الصالحين المقسطين، ما لم يأمروا بمعصية، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ...﴾.[٧]

وأولي الأمر: أي الحكام. ومنكم: أي من المسلمين. وبهذه الآية الصريحة الواضحة من كلام الرب سبحانه وجبت طاعة أولي الأمر، وألزمت الأمة بالخضوع لهم واتباعهم فيما وافق الكتاب والسنة. لذا قال سبحانه: ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ...﴾؟ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله. وأعاد الفعل مع الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، لأن الرسول ﷺ لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم، وحاشاه ﷺ أن يفعل ذلك. وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع حينئذ إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعة أولياء الأمور وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا – في الغالب الأعم – والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل. قال تعالى: "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير".[٨] فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم

---

[٧] القرآن الكريم، سورة النساء: ٥٩.

[٨] القرآن الكريم، سورة الشورى: ٣٠.

الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يُؤمر بمعصية فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[٩]

والسمع والطاعة تتلخص في القبول والإنقياد لقول ولي الأمر ونهيه. وهذا الإمام المسلم العادل يستحق من الأمة جميعا التكريم والإجلال والطاعة والمناصرة والتأييد، فالإمام العادل كتب الله له حبه ورضاه بقوله "وأقسطوا إن الله يحب المقسطين "[١٠]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال ﷺ "إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا."[١١]

وقد أخرج مسلم عن عياض بن حمار ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال."[١٢]

---

[٩] البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، صحيح البخاري، ٤ مجلدات،بيروت، لبنان: دار الفكر (طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول). كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة مالم يكن معصية، ج٨، ص١٠٥.

[١٠] القرآن الكريم، سورة الحجرات: ٩.

[١١] مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل وعقوبة الجائر، ج٣، ص١٤٥٨.

[١٢] مسلم، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، ج٤، ص٢١٩٨.

وقد جعل النبي ﷺ طاعة ولاة الأمر طاعة له، ومعصيتهم ومخالفتهم مخالفة ومعصية له، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني." [١٣]

وهذه الطاعة والموالاة والمناصرة والتأييد تجب في المنشط والمكره، والإقبال والإدبار، ولا تخضع لهوى المسلم وذوقه وآرائه فيتابع تارة ويخالف تارة، فيكون كمن قال الله تعالى فيهم: "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" فلا بد من إجلال الإمام وتوقيره وطاعته ومتابعته في كل حال مالم يكن إثما ومعصية، وهذا ماسماه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: "النصيحة" باعتبارها الكلمة الجامعة المعبرة عن خير الدنيا والآخرة، فجمع الدين فيها بقوله عليه الصلاة والسلام:" الدين النصيحة". قلنا: لمن يارسول الله؟ قال: "لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم" [١٤]

وتكون النصيحة لأئمة المسلمين متضمنة عدة معاني ومستلزمة لجملة أمور مهمة يجب القيام بها، يقول الإمام النووي: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم". [١٥]

---

[١٣] البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، ج٨، ص ١٠٤.

[١٤] مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ج١، ص٧٤.

[١٥] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٣، ١٨جزءا، بيروت لبنان: دار التراث العربي، كتاب الإيمان ن باب بيان الدين النصيحة، ج٢، ص٣٨.

وهذا البيان الشافي من الإمام النووي رحمه الله لحق النصيحة للأئمة في غاية الإتقان، فهو يؤكد على أن يتم التذكير للحاكم في إطار الرفق واللطف، والتلطف في إيصال النصيحة التي نحث على اصطحابها في التعامل مع أئمة المسلمين من أهل الصلاح بلا تهاون ولا تفريط.

وهذا الأمر قضى به رسول الله ﷺ بقول فصل لايحتمل التأويل والتعليل، ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي عن أبي بكرة ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أهان السلطان في الأرض أهانه الله في السماء" [١٦]

وقد اشتمل هذا الحديث على حث النبي ﷺ على احترام ذوي الهيئات من الحكام والأمراء ويلحق بهم العلماء لتكون لهم هيبة في نفوس الناس فيُطاع أمرهم ويُسمع لقولهم.

وهذا بعد سياسي جميل يحرص الإسلام من خلاله على استقرار المجتمع الإسلامي، ووفور الأمن فيه، والبعد عن إثارة الفتن وتأليب الناس على الحكام بسبب بعض الهفوات والأخطاء التي لا توجب الخروج عليهم.

ومن لطيف الترفق والتلطف وحسن الأدب مع الإمام العادل إذا قسى أو أخطأ مارواه سالم بن عبدالله قال: نظر عمر بن الخطاب إلى رجل أذنب ذنبا، فتناوله عمر بالدرة، فقال الرجل: "والله ياعمر إن كنتُ أحسنت

---

[١٦] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، الجامع الصحيح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ٥ مجلدات، بيروت: دار الفكر أبواب القدر، باب ماجاء في الخلفاء، (قال حديث حسن غريب) ج٢، ص٣٤٠. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط٣، ٦ أجزاء، بيروت: المكتب الإسلامي "الصحيحة رقم ٢٦٩٦ "وفي "صحيح الجامع رقم ٦٧٨".

فلقد ظلمتني ولئن كنتُ أسأت فما علمتني.

فقال عمر: صدقت، فأستغفر الله، ودونك فاقتد من عمر.

فقال الرجل: أهبها لله، وغفر الله لي ولك." [١٧]

وهذه الرواية صورة مشرقة من علو الأدب مع الأئمة والقادة فقد قال تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" [١٨]

أما مانراه من تأليب الناس على القائد الصالح وتجميعهم على نقده وذمه وذكر مثالبه وعيوبه فهو من صنيع الغوغاء والعامة ممن لم يفقه الشريعة ويتأدب بأدبها.

قال التابعي الجليل أبو معبد عبدالله الجهني، إثر مقتل عثمان بن عفان ﷺ: "إني لأرى ذكر مساويء الرجل عونا على دمه". [١٩]

فقد اعتبر أن كل من ساهم في ذكر مثالب عثمان ﷺ ونقده وحث الناس على عدم إجلاله وتوقيره ساهم في سفك دمه، وهذا فقه جليل مهم عند الفتن والمنازعات، فرط به الكثير فوقعت مأساة عظيمة بمقتل الشهيد عثمان في دار الخلافة في المدينة النبوية في داخل بيته.

---

[١٧] ابن أبي الدنيا، مداراة الناس والصبر على أذاهم، مخطوط، رقم٢٤٤.

[١٨] القرآن الكريم، سورة النحل، ١٢٥.

[١٩] البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٣١٦هـ، التاريخ الكبير، ٩ مجلدات، حيدر أباد، الدكن، الهند ج١، القسم الأول، ص٣٢، وانظر – محمد أحمد الراشد، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، العوائق، ط١٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.، ص١٥٦.

وكم كان للترفق من أثر لو عُمل به في ذلك الظرف العصيب. قال التابعي الجليل أبو مجلز: "سب الإمام الحالقة، لأقول حالقة الشعر؛ ولكن حالقة الدين" [٢٠]

فإن كان سب الإمام الحاكم فحسب هو الحالقة فكيف بالخروج عليه، وقتاله، والدعوة إلى سفك دمه.

وسطية الإسلام في التعامل مع الحاكم الجائر

كثيرا ما يتسلط على المسلمين إمام مسلم في أخلاقه حدة، وفي طباعه شراسة، وفي تصرفاته خشونة، فيعمل في الناس الأذى والظلم والاضطهاد إذا ما وجد مخالفة أو مضادة لهواه، أو عداوة لما هو عليه من أمر، فما هو الطريق الأنسب للتعامل مع مثل هذا الحاكم هل يكون بالصبر عليه، والرفق في نصحه، أم بالخروج عليه ومحاربته.

قال رسول الله ﷺ "الرفق ما دخل في شيئ إلا زانه وماخرج من شيئ إلا شانه." [٢١]

فالرفق يخرج الخير من أصحابه وإن كانوا أهل جور وتجاوز واستبداد، قال ابن حبان: "من لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف." [٢٢]

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ

---

[٢٠] ابن أبي الدنيا، مداراة الناس والصبر على أذاهم، رقم٢١٤.

[٢١] مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والأداب، باب الرفق، ج٤، ص٢٠٠٤.

[٢٢] ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان البستي، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م، روضة العقلاء، علق عليه وصححه مصطفى السقا، ط١، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ص١٩١.

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[٢٣] فنحن نجد هنا أن الآية الكريمة توجهنا إلى اتباع إحدى الطريقتين في الدعوة إلى الله: الحكمة والموعظة الحسنة؛ أما الحكمة فهي لخطاب العقل بالبرهان، وأما الموعظة فهي للتأثير في النفس بمخاطبة الوجدان، فالأولى للخواص، والثانية للعوام، والمقصد واحد، ولا يحتاج إلى الطريقتين إلا من يدعو إلى حق موافق لمصلحة الناس الحقيقية، ولذلك قام أكثر الدعاة في العالم على الطريقة الثانية ووقفوا على منبر الخطابة ابتغاء إقناع النفوس بالمسلمات وجذبهم بزمام الوجدان حيث السلطان الأعلى للقياسات الخطابية والشعرية، لا للحجج البرهانية، وإذا نجح هؤلاء في كل عصر مضى فلا يدوم نجاحهم في هذا العصر؛ لأن العلم الحقيقي الرائجة سوقه فيه خصم لهم وهو الخصم الذي لا يغالب، والناطق الذي لا تدحض حجته، والسالك الذي لا تنطمس محجته، وذكر الله الطريقتين ثم ذكر كيفية السلوك فيهما والسير عليهما، وهي المجادلة بالتي هي أحسن والتلطف في القول، والرفق في المعاملة، وهذا أول ما يتبادر إلى الفهم من قوله تعالى "وجادلهم بالتي هي أحسن"، والقرآن يبين هذا في مواطن كثيرة وآيات متعددة، والسر في التلطف أن النفوس جُبلت على حب الكرامة."[٢٤]

---

[٢٣] القرآن الكريم، سورة النحل، ١٢٥.

[٢٤] http://teleghma2008.alafdal.net/t92 -topic

كما نجد التوجيهات النبوية تنبهنا على أهمية التسلح بالصبر في التعامل مع الحكام المسلمين إذا جاروا أو وقعت منهم الأثرة والشحة والتضييق فقد قال ﷺ فيما أخرجه مسلم: "إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها.

قالوا: يارسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم."[٢٥]

وهذا نص صريح على بعض تجاوزات الحكام وجورهم في استئثارهم بالدنيا ومكاسبها وما فيها من رتب ومناصب وتفضيل البعض على الآخر في العطاء وغيره ، ومع كل هذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بأن يؤدوا ما عليهم لأمرائهم، ويصبروا على أذاهم، ويتطلعوا إلى ما عند الله وحده من الفضل والخير على هذا الموقف النبيل الرقيق.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية."[٢٦]

قال ابن بطال: "في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، و قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، و لم يستثنوا من ذلك ألا ما وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته

---

[٢٥] مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ج٣، ص١٤٧٢.

[٢٦] البخاري، الصحيح، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "إنكم سترون بعدي أمورا تنكرونها، ج٨ ص٨٧.

لمن قدر عليها، كما في الحديث الذي بعده).[٢٧]

قلت: ويعني به حديث عبادة بن الصامت الذي أخرجه البخاري: "دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لاننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله برهان."[٢٨]

وعلى هذا فلا بد من مداراة أئمة الجور من المسلمين والصبر على أخطائهم مع الحرص على نصحهم وتسديدهم وإصلاحهم بمنتهى الرفق والوعظ الحسن؛ ذلك حتى لاتتفاقم الأمور وتتسع المفاسد، ولما يترتب على الخروج والتجاوز من مفسدة عامة للمسلمين.

ومن كثافة التوجيهات النبوية ووفرتها في هذا الباب أخذ الصحابة هذا الأمر وما يجب عليهم فيه إن وقع، فقد سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: "يانبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه، ثم سأله فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ماحملوا وعليكم ما حملتم."[٢٩]

أي خذوهم بالسياسة والكياسة والتصبر والرفق ولا تترعوا يدا من طاعة فالأمراء عليهم إثم ما قصروا فيه، والله مؤاخذهم به، وكذلك ينالكم الإثم إن قصرتم في طاعتهم، والسماع لأوامرهم في غير معصية الخالق.

---

[٢٧] ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، كتاب الفتن، باب واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ج٢٧، ص٨.

[٢٨] البخاري، الصحيح، كتاب الفتن، باب واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، ج٨، ص٨٧، ٨٨.

[٢٩] مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، ج٣، ص١٤٧٤.

قال الخطابي رحمه الله: "ومن النصيحة لهم ترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف، أوسوء عشرة."[٣٠]

والرفق السياسي مع الحكام أمر حث عليه الرسول ﷺ حيث قال: "ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين فيقول خيرا أو ينمي خيرا."[٣١]فليس من الكذب أن يتحرك المسلم المصلح في التوفيق السياسي بين الأمراء المتخاصمين أو المختلفين بشتى هيئاتهم، وهذا داخل في مهمة النصيحة التي أمرنا بها، قال تعالى: "تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله."[٣٢]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يقول الإمام الغزالي: «هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلّت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلاّ يوم التناد، وقد ظهر ذلك في كثير من البلاد، ومن أهم أسباب ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستهانة به، وممّا شجع الناس على تركه ما يُثَار من شبهات حول شرعيته، ووجوبه، وجدواه، وما يُلقن الناس من أعذار فاسدة للتهاون في شأنه.[٣٣]

---

[٣٠] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة، ج٢، ص٣٨.

[٣١] مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان المباح فيه، ج٤، ص٢٠١١.

[٣٢] القرآن الكريم، سورة آل عمران، ١١٠.

[٣٣] الإمام الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، بدون تاريخ، إحياء علوم الدين، بهامشه المغني عن حمل الأسفار بالأسفار للإمام العراقي، ٤ مجلدات، بيروت: دار المعرفة، ج٢، ص٣٠٦.

ووجدنا سلفنا الصالح يتحاشى هؤلاء الظلمة من الأئمة ويستعمل أسلوب التورية، أو التدليس، أو الإرسال أحيانا، مداراة لهم وتحاشيا لبطشهم مع إحقاق الحق والتلطف في توصيله إلى الناس، فقد أخرج الحافظ ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن مجمع التيمي، عن رجل يدعى زيدا أويزيد، عن علي ﷺ قال: "لسان الإنسان قلم الملك وريقه مداده."[٣٤]

وزيد هو شيخ مجمع التيمي الكوفي وهو زيد بن علي بن الحسين الإمام؛ ولكن الظروف العصيبة التي كانت تمر بها الأمة، والصراع المحتدم بين الأمويين والإمام زيد بن علي جعل مجمع التيمي يوعر طريق الإسناد بنوع من التدليس لئلا يتعرض للفتنة فقد سجن الأمويون ــ في زمن الخليفة هشام بن عبدالملك ــ الإمام زيد بن علي خمسة أشهر وكان كل من يتواصل معه أو يتحزب له منقوما عليه، لذا رأى الإمام مجمع التيمي وهو من العلماء الأكياس ألا يلج باب الفتنة ولايزيد في اشتعالها فحرص على تبليغ العلم الذي سمعه من شيخه الإمام زيد مع أخذ الحيطة والحذر لأمره، وكذا كان يصنع الإمام الحسن البصري رحمه الله من قبل. قال يونس بن عبيد سألت الحسن البصري، قلت: يا أبا سعيد، إنك تقول: قال رسول الله ﷺ، وإنك لم تدركه؟

فقال: يا ابن أخي لقد سألتني عن شيئ ماسألني عنه أحد قبلك ولولا مترلتك مني ماأخبرتك، إني في زمان كما ترى– وكانوا في زمن الحجاج وفتنة بني أمية مع آل البيت – كل شيئ سمعتني أقوله: قال رسول

[٣٤] ابن أبي الدنيا، الصمت وآداب اللسان، تحقيق دكتور نجم عبد الرحمن خلف، ص٢٤١-٢٤٢.

الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا."[٣٥]

وهناك من يحلو له تحت شعار الجرأة في الحق، والأمر بالمعروف، فيتجاوز المداراة والسياسية الشرعية إلى المواجهة مع الظلمة من المسؤلين المسلمين- وهو خلاف الأولى، وخارج عن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن- فيستعمل الكلمة الكبيرة الجارحة، والتحدي الصارخ، في الوقت الذي لايملك فيه دفاعا عن نفسه أو عمن زجهم معه من أتباعه. وقد صدق الإمام زياد بن حدير الأسدي أمير الكوفة الثقة حينما قال: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لايقطع بها ذَنَبَ عَنْزٍ مَصُور ولو بلغت إمامه سفك دمه."[٣٦]

فهو عمل عاطفي يمثل ردة فعل لالطائل من ورائه فلا يغير واقعا ولا يُبقي صفاء ومودة. وقد كان الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص يصور هذه الحالة السالبة فيقول: "مثل الذي يسب الإمام كمثل رجل يرمي صخرة كلما رمى بحجر رجع الحجر إلى رأسه."[٣٧]

وهذا الصحابي الأنصاري البدري النقيب المجاهد أبو الوليد عبادة بن الصامت ﷺ قال لجنادة بن أبي أمية وقد لمح إلى فتنة موشكة: "إدن حتى أخبرك بما لك وعليك؛ إنه عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك،

---

[٣٥] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي. ط٢، مجلدين، بيروت: دار الكتب العلمية.، ج١، ص٢٤١.

[٣٦] ابن ابي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد، ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م، الصمت وآداب اللسان، تحقيق د. نجم عبدالرحمن خلف، ط١، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ص:٧٠٦.

[٣٧] ابن أبي الدنيا، مداراة الناس والصبر على أذاهم، ٢١٣.

ومكرهك ومنشطك، والأثرة عليك، وألا تنازع الأمر أهله إلا أن تُؤمر بمعصية الله صراحا، فإن أمرت بخلاف ما في كتاب الله فاتبع كتاب الله".[٣٨]

وهؤلاء الأئمة والأمراء المسلمين من أهل الجور والظلم إنما أوصت الشريعة الغراء بطاعتهم واتباعهم في غير معصية إلا لغاية كريمة تدرأ المفسدة وتجلب المصلحة وهو شر واقع لامحالة. فإنه لا بد من تقدير المصالح والمفاسد. ومن أمثلة هؤلاء الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، الأَمِيْرُ؛ أَبُو وَهْبٍ الأُمَوِيُّ. لَهُ صُحْبَةٌ قَلِيْلَةٌ، وَرِوَايَةٌ يَسِيْرَةٌ. وَهُوَ أَخُو أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عُثْمَانَ لأُمِّهِ، مِنْ مُسْلِمَةِ الفَتْحِ؛ بَعَثَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي المصطلق، وقد أمر ﷺ بذبح والده عقبة بن أبي معيط صبرًا يوم بَدْرٍ. وَوَلِيَ الكُوْفَةَ لِعُثْمَانَ، وَجَاهَدَ بِالشَّامِ، ثُمَّ اعْتَزَلَ بِالجَزِيْرَةِ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيْهِ عُثْمَانَ، وَلَمْ يُحَارِبْ مَعَ أَحَدٍ مِنَ الفَرِيْقَيْنِ, وَكَانَ سَخِيّاً، مُمَدَّحاً، شَاعِراً، وَكَانَ يَشْرَبُ الخَمْرَ، وَقَدْ بَعَثَهُ عُمَرُ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي تَغْلِبَ.

قَالَ عَلْقَمَةُ: كُنَّا بِالرُّوْمِ وَعَلَيْنَا الوَلِيْدُ، فَشَرِبَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَحُدَّهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ: أَتَحُدُّونَ أَمِيْرَكُم، وَقَدْ دَنَوْتُم مِنْ عَدُوِّكُم، فَيَطْمَعُوْنَ فِيْكُم؟ أما الوليد بن عقبة فكان يقول:

لأشربنَّ وَإِنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً ... وأشربنَّ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ مَنْ رَغِمَا

وَقَالَ حُضَيْنُ بنُ الْمُنْذِرِ: صَلَّى الوَلِيْدُ بن عقبة بن أبي معيط بِالنَّاسِ الفَجْرَ أَرْبَعاً

---

[٣٨] الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، المصنف معه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢ ــ ١٢ مجلد، بيروت: المكتب الإسلامي .باب السمع والطاعة، ج١١: ص٢٣١.

وَهُوَ سَكْرَانُ، ثُمَّ التَفَتَ وَقَالَ: أَزِيْدُكُم؟ فبلغ عثمان، فطلبه وحدَّه، وكان ممن صلى وراءه عبد الله بن مسعود.

وَهَذَا مِمَّا نَقَمُوا عَلَى عُثْمَانَ أَنْ عَزَلَ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ الكُوْفَةِ، وَوَلَّى هَذَا. وَكَانَ مَعَ فِسْقِهِ -وَاللهُ يُسَامِحُهُ- شُجَاعاً قائمًا بأمر الجهاد.[٣٩]

وَرَوَى جَرِيْرُ بنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنَا عِيْسَى بنُ عَاصِمٍ، أنَّ الوَلِيْدَ بن عقبة بن أبي معيط أرسل إلى ابْنِ مَسْعُوْدٍ: أَنِ اسْكُتْ عَنْ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ: أَحْسَنُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرّ الأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا".[٤٠]

وابن مسعود ثابت على ما عنده من الخير، وصابر على ما يتعرض له من الأذى والتجاوز، حليم رفيق في رده على هذا الأمير، وكان الوليد بن عقبة أميرا على الكوفة وقتها.

وتبقى هذه القاعدة هي السبيل لإرضاء الله وطاعة رسوله ﷺ، والصبر والرفق هما عدة المسلم في منهج المداراة الشرعية، فقد أخرج مسلم عن رسول الله ﷺ "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على شيئ سواه."[٤١]

وقد يحتج المعترض على ما تقدم بقوله ﷺ: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب و رجل قام إلى إمام جائر فأمره و نهاه فقتله).[٤٢]

---

[٣٩] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م سير أعلام النبلاء، ٤ القاهرة: دار الحديث، ج٤: ص٤٢٧.

[٤٠] الذهبي، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤ ج، ص٢٤٨.

[٤١] مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق، ج٤، ص٢٠٠٤.

[٤٢] أخرجه الحاكم في "المستدرك" وصححه، والخطيب، والضياء المقدسي في "المختارة" وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف

فنقول هذا حديث صحيح ثابت؛ ولكنه سائغ جائز على وجهه كما تحدث به المصطفى ﷺ إلا أنه خاص بالتصرف الفردي الشخصي، الذي ينعكس على صاحبه وحده، فيرفعه عند الله أو يخفضه عنده حسب نيته وغايته، وهو جائز لمن أراد أن يستعمله في الإنكار على الحاكم الظالم بصفته كفرد، لا كجماعة، بل ليس بواجب لا على الأفراد ولا على المجموع، لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضْعَفُ الإيمَانِ).[٤٣] فهذا الحديث دلَّ على وجوب تغيير المنكر بحسب القدرة، فالحاكم يملك التغيير باليد، ويلتحق به كل من امتلك القدرة على ذلك، ثم التغيير باللسان توبيخا أو نصيحة حسب مقتضى الحال، ثم بالقلب وهو أضعف الحالات. وقد بين الإمام أحمد معنى التغيير باليد فقال رحمه الله: "التغيير باليد، ليس بالسيف والسلاح". ومعنى "فإن لم يستطع": يعني إنكار ما نهى الشرع عنه بيده، ولا بلسانه لوجود ما نع، كخوف فتنة، أو خوف على نفس، أو نحو ذلك.

ولا يجوز إيجاب تعميم الإنكار على موقف الجماعة والأمة والشعوب، فإن في ذلك مخالفة لطريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المنافقين والظالمين والمخالفين. وللقاعدة: يسع الفرد المسلم ما لا يسع المجموع، وصيغتها: "يسع الفرد ما لا يسع الجماعة" فهذه العبارة صحيحة، ومن معانيها أن للشخص في خاصة نفسه أن يأخذ بالعزيمة والشدة في بعض المسائل أو يأخذ بالأثقل احتياطاً أو تورعاً على أن لا يكون ذلك ديدنه، فإن

للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، وصحيح الترغيب وحسنه في "صحيح الجامع" رقم٣٦٧٥.

[٤٣] مسلم، الصحيح، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، ج١: ص٦٩.

الشدة في كل الأحوال مرفوضة ومفضية إلى التضييع في المآل، وإذا وسع الفرد ذلك فإنه لا يسع الجماعة أو الأمة، فليس له –أي الفرد– أن يحمل جمهور الناس على الشدة والضيق والعنت.

والأدلة على هذا كثيرة نكتفي بهذا المثال: قول النبي ﷺ: "إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما يشاء."[٤٤]

وكان رسول الله ﷺ يصلي من الليل حتى تتفطر قدماه، وإذا صلى بالناس خفف، وقال لمعاذ بن جبل : "يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة".[٤٥]رواه البخاري.

ومن كلام أهل العلم في هذا المعنى قول الجصاص عند تفسيره لقول الله تعالى: مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ، قال: لما كان الحرج الضيق ونفى الله عن نفسه إرادة الحرج بنا ساغ الاستدلال بظاهره في نفي الضيق وإتيان التوسعة في كل ما اختلف فيه من أحكام السمعيات، فيكون القائل بموجب الحرج والضيق محجوجاً بظاهر الآية"[٤٦].

وسطية الإسلام في التعامل مع الحاكم الكافر

إن هذا الدين قام على مكارم الأخلاق وإن الله سبحانه قد كتب الإحسان على كل شيئ وإن المسلم وهو في دار الدنيا يعلم موقنا أنه في دار بلاء وامتحان وتمحيص، وقد يقع شعب من الشعوب المسلمة تحت حكم

---

[٤٤] البخاري، الصحيح، باب: إِذَا صَلَّى لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ، ج١: ص١٤٢.

[٤٥] البخاري، الصحيح، بَابُ مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ، ج١: ص١٤٢.

[٤٦] مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه رقم الفتوى، ٤٤٨٣٣، سنة ١٤٢٥هـ.

الكفار من القيادات والزعامات كما قد يقع بعضهم في مثل هذا البلاء الكبير، هذا هو واقع المسلمين في كثير من أقطار الدنيا في هذه الأزمان.

والمسلم في أي حال وفي أي موقع مطلوب منه أن يدعو الناس إلى الله حاكمين ومحكومين وواجب الدعوة منوط بعنق المسلم الغيور وفق مايوفقه الله تعالى كل حسب استطاعته وظرفه لكن التوجيه الرباني اقترن بشروط لاتنفك عن الدعوة والداعية مهما اختلفت الأحوال والمواقع يقول الله سبحانه "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"[٤٧]

فلا دعوة بغير حكمة ولا تبليغ ولا موعظة إلا بالتي هي أحسن؛ فإن وجد المجادل المعاند الخصم فلا يجادله المسلم إلا بالتي هي أحسن. يعني أن المجادل يجادل بأسلوب أرق وألطف وأحسن من سابقه لما وجد فيه من الإعراض والأمراض وإن كان الإحسان مطلوب من المسلم في كل حال.

ولنا في رسولنا ﷺ ومن سبقه من الأنبياء الكرام أسوة حسنة عندما خاضوا مثل هذه التجربة المريرة وعاشوا في مجتمع يحكم من قبل قيادة كافرة، فقد عاش الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاما من تاريخ دعوته وهو القسم الأعظم منها تحت ظل حكم كافر وثني مشرك فوجدناه ﷺ يتلطف غاية التلطف في إيصال الدعوة إلى الأعيان والسادة والكبراء ويستعمل معهم أسلوب التكنية والتكريم حين يخاطبهم، ويداريهم حين يظهر منهم الصدود والأذى والتكذيب. ولقد كانت التربية القرآنية التي تلقاها الرسول الكريم ﷺ من ربه جل وعلا في تبليغ دعوته؛ فكان مما نزل عليه ﷺ من كتاب ربه سبحانه فيها

---

[٤٧] القرآن الكريم، سورة النحل، ١٢٥.

ما قصه عليه سبحانه من قصة موسى وهارون عليهما السلام وإرسالهم من قبل الرب سبحانه إلى طاغوت الدنيا يومها فرعون – لعنه الله – فقال لهما الله سبحانه: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[٤٨] وهذه الآيات الكريمات هي المنطلق والمرجع في هذا الباب ففيها من الوضوح والبيان ما يشفي ويغني ففي هذه الآية أمر الله سبحانه نبييه موسى وهارون عليهما السلام أن يقولا لفرعون في حال تبليغ رسالة الله إليه كلاما لطيفا سهلا رقيقا ليس فيه ما يغضب وينفر، واتضح هذا في قوله سبحانه: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾[٤٩] وقد قال الشنقيطي رحمه الله: وهذا والله غاية في لين الكلام ولطافته كما ترى".[٥٠]

والقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولايهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش فيه الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، اذهبا إليه غير يائسين من هدايته راجين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لايبلغها بحرارة."[٥١]

فالدعوة والنصيحة فرض كفاية إذا قام بهما البعض سقطت عن الباقين، وهي كما قال ابن بطال: لازم على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى

---

[٤٨] القرآن الكريم، سورة طه، ٤٣.

[٤٩] القرآن الكريم، سورة النازعات، ١٨.

[٥٠] الشنقيطي، محمد الأمين مختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٠ مجلدات، بيروت: عالم الكتب. ج٤، ص٤١٣.

[٥١] سيد قطب، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٠م، في ظلال القرآن، الطبعة الحادية عشرة، ٦ مجلدات، بيروت: دار الشروق، ج٤، ص٢٣٣٦.

فهو في سعة".[٥٢]

وهذا كلام جميل وفقه جيد إلا أن العزيمة تليق بأصحاب العزائم. وقد كان السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه".[٥٣]

والرفق في التعامل مع مثل هؤلاء الحكام تمنح العاملين من المسلمين مزيدا من المكاسب والفرص لإبلاغ الدعوة، وهداية الناس، وتعليم المسلمين وتفقيههم بأمور دينهم، وتكثير المساجد، والمعاهد الشرعية، والمؤسسات الإسلامية.

ووجه الله هو المقصود على كل حال، وحق على المسلم أن يتلطف ويحاول في إيصال كلمات الله وهديه إلى كل من يمكن أن تبلغهم الدعوة، وحسبه شرف وحظوة، فهو عمل الأنبياء وشغلهم الشاغل ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.[٥٤]

وتأليف قلوب الناس ومراعاتهم مطلب شرعي نادت به مبادئ هذا الدين، ولما كان تأليف قلوب عامة الناس أمرا مطلوبا فمن باب أولى مداراة وتأليف أعيانهم ورؤسائهم وأهل الشأن منهم؛ لذلك وجدنا أمر الله تبارك وتعالى ينص على تأليف قلوب السادات والأعيان والكبراء بالمال من أموال الزكاة ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ...﴾[٥٥] فجعل للمؤلفة قلوبهم حقا في أموال الزكاة في المجتمع المدني

---

[٥٢] النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ج٢، ص٣٩.

[٥٣] النووي، شرح صحيح مسلم، ج٢، ص٣٩.

[٥٤] القرآن الكريم، سورة فصلت، ٣٣.

[٥٥] القرآن الكريم، سورة التوبة، ٦٠.

فهذه الآية نزلت بعد قيام دولة الإسلام في المدينة المنورة، والمسلمون في تمام قوتهم وشوكتهم ومنعتهم.

وهذه الصورة الشرعية لها أبعادها السياسية في المجتمع المسلم، وآثارها المهمة في الكسب والتجميع وإزالة العوائق. وعلى هذا فما دامت الشريعة الغراء توصي بالأعيان ومداراتهم والترفق معهم والاجتهاد في تأليف قلوبهم بالمال والأحوال: "من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن"[٥٦]"ائذنوا له بئس أخو العشيرة"[٥٧] فمن باب أولى العمل بهذه المنهجية في ظل انعدام الدولة الإسلامية وهيمنة الكفار في هذه المجتمعات الإسلامية واستئثارهم بالحكم دون المسلمين، ويبقى الهدف والمقصد هو إيصال كلمة الله إلى الناس، كل الناس حسب الإمكان، وإقناعهم والتلطف في إقناعهم وعطف قلوبهم على هذا الحق المبارك القويم.

وهذا القصد الشريف يفتقر إلى وسائل شريفة ورفيعة وهادفة مناسبة ولكل مقام مقال، ولكل حالة ما يناسبها. وقد وقفنا على رسالتي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم، وكسرى ملك الفرس فوجدنا فيهما من الرفق والتلطف ما يناسب حال الملوك الحكام، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم دولة قائمة منصورة وقتذاك، وفي هذا من الهدى والأسوة ما يسع العاملين ويسعدهم، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

والإطار الثابت لهذه الصورة من المداراة الشرعية منضبط ومحكم بقول النبي ﷺ الذي أخرجه الشيخان عن ابن عمر: "عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ

---

[٥٦] مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، ج٣، ص١٤٠٨.

[٥٧] البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب لم يكن رسول الله فاحشا ولامتفحشا، ج٧، ص٨١.

سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ".[٥٨]

وكذلك حال المسلم في التبليغ والنصيحة فهو ملزم بهذا التأطير فلا نفاق ولا تزلف ولا تذلل، حيث لا بد من سلوك الطريق السوي للهدف الكريم، واستعمال الوسائل الشرعية لإيصال كلمة الحق للحاكم وغيره من طبقات الناس. فقد يضطرنا البعض لاتقائه، وذلك لسوء خلقه، وهذه من الوسائل الشرعية التي استعملها الرسول ﷺ —مع عيينة بن حصن— وقد قال عنه فيما أخرجه البخاري في صحيحه: "إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره."[٥٩]

وقد قرر رسول الله ﷺ في حق أمراء الصلاح والخير من أئمة الأمة الإسلامية بأن يطاعوا ويصبر على أذاهم، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ" من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية."[٦٠]

وهذا التوجيه النبوي يصلح شاهداً أيضاً للصبر على ولاة السوء والجور من الأئمة المسلمين، فقد قال ابن بطال: (في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه إن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن

---

[٥٨] البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة مالم يكن في معصية، ج٨، ص١٠٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الأحكام، باب وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِى غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِى الْمَعْصِيَةِ، رقم الحديث ٤٨٦٩.

[٥٩] البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب لم يكن رسول الله فاحشا ولامتفحشا، ج٤، ص٨١.

[٦٠] البخاري، الصحيح، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها، ج: ص٨٧٨.

الدماء وتسكين الدهماء).[٦١] وقد روى مسلم بسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: "تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم".[٦٢]

أما أئمة الكفر من الحكام والقادة في المجتمعات والحكومات غير الإسلامية فالمداراة في حقهم معتبرة مراعاة للمصلحة، ولنا أسوة في مؤمن آل فرعون، وما قصه الله علينا من قصة يوسف عليه السلام، وما وجه الله سبحانه وتعالى إليه نبيه موسى وهارون–عليها السلام – حين أرسلهما إلى فرعون فقال سبحانه: (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)[٦٣] والدعوة لا تكون إلا بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد أكد هذا البحث على قضية في غاية الأهمية ألا وهي مراعاة جانب المصلحة وتحصيلها، ودفع المفسدة وتعطيلها فتكون المداراة السياسية هي أخف الضررين وأهون المفسدتين كما تمنح هذه المداراة السياسية الرفيقة اللينة العامل المسلم الذي يشتغل بالإصلاح والدعوة فرصة للإنطلاقة والمضي ما دام يعيش في مجتمع قد غلب الشر والفساد فيه. وقد قام هذا البحث كله على الصبر والحلم وسعة الصدر والرفق والإعذار في غير خروج على أمر الله سبحانه وتعالى بحال من الأحوال, وإنما هو بذل المستطاع لدرء الفتن والحرص على بقاء الخير واستمراره ونمائه.

---

[٦١] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب الفتن، باب واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، ج٧ ص٨.

[٦٢] مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ج٢، ص١٤٧٢.

[٦٣] القرآن الكريم، سورة طه، ٤٣.

كيفية تعامل الحاكم المسلم مع المحكوم من رعيته وشعبه:

وكما أن الإسلام قد عُني بالحاكم وعرَّفنا بحقوقه، فإنه قد اعتنى بالأدنى؛ منهم وهم الرعية وشملهم بالرعاية والعناية والمداراة، وطالب الفريق المهيمن في كل الميادين أن يعاملهم بالرفق واللين وخفض الجناح، وسعة الصدر، والتجمل بالصبر والحلم والحرص على السماحة وحسن الخلق.

وكان هذا التوجه الكريم من أساسيات الدعوة الأولى، ومن سياستها المبكرة، فقد أمر الله تعالى النبي ﷺ في بدايات دعوته في مكه المكرمة بعد البعثة الشريفة، فقد تجسد هذا الأمر مترسخاً في نفس النبي ﷺ ونفوس أصحابه الكرام رضي الله عنهم منذ البدء يوم أن عاتب الله سبحانه نبيه الكريم ﷺ في شأن عبد الله ابن أم مكتوم – الرجل الأعمى رضي الله عنه على حساب الكبار من أهل مكة وساداتها، فقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾[٦٤] فكانت موعظة دعوية بليغة ومعبرة في العناية بالضعاف المقبلين.

ثم قال الله تعالى لنبيه ﷺ يوصيه ويؤكد عليه ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٦٥]

---

[٦٤] القرآن الكريم، سورة عبس، ٨٠ : ١–١١.

[٦٥] القرآن الكريم، سورة الحجر، ١٥ : ٨٨.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾[٦٦]، ﴿وَلَا تَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾[٦٧]

وقد حاول المشركون أن يعطفوا النبي ﷺ عن مساره بكل وسيلة وإغراء لكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد فنبه نبيه وسدده وحذره منهم، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال فيما أخرجه مسلم: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقع فحدّث نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ...﴾[٦٨]. [٦٩]

وقال سبحانه في موضع آخر للرسول ﷺ ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا...﴾[٧٠]

وهكذا من خلال هذه التوجيهات نرى اهتمام هذا الدين بالضعفة والمساكين ولكل من هم في الموضع الأدنى من المسلمين، وقد كان النبي ﷺ يثبت هذا الخلق الدعوي وفق ما فهمه عن ربه سبحانه، ويعمل على تعميقه وبثه في نفوس أصحابه، ممن كانوا في المقام الأعلى في دين أو دنيا.

---

[٦٦] القرآن الكريم، سورة الضحى، ٩٣ : ٩-١٠.

[٦٧] القرآن الكريم، سورة الماعون، ١٠٧ : ٣.

[٦٨] القرآن الكريم، سورة الأنعام، ٦ : ٥٢.

[٦٩] مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، فضل سعد بن أبي وقاص، ج٤، ص١٨٧٨.

[٧٠] القرآن الكريم، سورة الكهف، ١٨، ٢٨.

واستمر ﷺ يؤكد على هذه التربية الإيمانية الدعوية التربوية إلى أن لقي ربه سبحانه، فعن عائذ بن عمرو المزني – وهو من أهل بيعة الرضوان أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر – أي في المدينة المنورة – فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، وذلك قبل فتح مكة – وأبو سفيان من المشركين وقتذاك – فقال أبو بكر ﷺ: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم، فأتى النبي ﷺ فأخبره بما قال، قال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك!! فأتاهم فقال: يا إخوتاه آغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي".[٧١]

وهذا نص جميل في تنازل الأعلى وتواضعه لإخوانه الأدنى منه منزلة أو سناً فقد جاء أبو بكر الصديق معتذراً على الفور يناديهم بنداء الإيمان المليء بالأخوة والحنان، "يا إخوتاه آغضبتكم؟" ثم كان الجواب الكريم من قبلهم: "لا، يغفر الله لك يا أخي". فهم عملوا بالمداراة الدعوية، والأدب المطلوب مع الأعلى فلم يذهبوا للنبي ﷺ شاكين متألمين ساخطين و لم يدخلوا مع أبي بكر الصديق ﷺ عندما أخطأ في حقهم– في جدال ونقاش أما أبو سفيان – وكان لم يزل مشركاً – وإنما جاء إلى المدينة بمهمة لقريش. ولما جاءهم الصديق معتذراً قبلوا العذر على الفور ودعوا له بالمغفرة ممزوجة بنداء الإخاء الإيماني الكريم الخالص: "يغفر الله لك يا أخي" وعلى مثل هذه الأخلاق الدعوية والمداراة الإيمانية، قام المجتمع الإسلامي الأول ويقوم المجتمع

---

[٧١] مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، فضل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم، ج٤، ص١٩٤٧.

الإسلامي المنشود لعمارة الأرض في ظل التوحيد، (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[٧٢].

"وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يذهب إلى العوالي – أي عوالي المدينة – كل يوم سبت فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه"[٧٣]. كيف لا وهو يسمع نبيه ﷺ يحثه ويقول: "إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده ليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه[٧٤]"وقد أخرج مالك عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق"[٧٥]وقد سجل لنا أنس بن مالك ﷺ صورة مشرقة عن مداراة رسول الله ﷺ للأدنى تكاد تكون في دنيا الناس من المثاليات التي يصعب أن تتحقق أو تقع، فيقول: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا قال لشئ فعلته لم فعلته؟ ولا لشئ لم أفعله، ألا فعلت كذا"[٧٦].

قال الحافظ ابن حجر: (ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه، وفائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته)[٧٧].

---

[٧٢] القرآن الكريم، سورة المائدة، ٥:٥٤.

[٧٣] مالك، الموطأ، كتاب الجامع، باب الأمر بالرفق بالمملوك ص٨٣٦.

[٧٤] البخاري، الصحيح، كتاب الايمان، باب ا المعاصي من أمر الجاهلية، ج١، ص١٣، نحوه.

[٧٥] مالك، الموطأ، كتاب الجامع، باب الأمر بالرفق بالمملوك ص٨٣٥.

[٧٦] مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا، ج٤، ص١٨٠٤.

[٧٧] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء ومايكره من البخل، ج٢٢، ص٢٤٩.

وجرير بن عبد الله البجلي من صغار الصحابة لكنه حظي برعاية النبي ﷺ له وحسن خلقه معه ما جعله يقول فيما أخرجه مسلم: "ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي"[٧٨].

وقد قعّد النبي ﷺ قواعد عامة في رعاية أهل التقدم والحظ على من سواهم من إخوانهم الأدنى منهم، وأمرهم بالمداراة الشرعية والرعاية الأخوية، وبث الروح الإسلامية، وخص من هؤلاء الأئمة والحكام والأمراء والقادة، فأمرهم بالرفق مع رعيتهم فعن معقل بن يسار ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه البخاري: "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"[٧٩].

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: "رجلان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، ومغال في الدين مارق منه"[٨٠].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل عباد الله مترلة يوم القيامة: إمام عادل رفيق، وإن شر عباد الله مترلة يوم القيامة إمام جائر خرق".[٨١]

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق بهم".[٨٢]

---

[٧٨] مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل جرير بن عبد الله، ج٤، ص١٩٢٥.

[٧٩] البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ج٨، ص١٠٧.

[٨٠] ابن أبي الدنيا، مداراة الناس والصبر على آذاهم، ٢٢٩ وانظر، الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٠، رقم ٤٩٥-٤٩٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجال، ثقات، ج٥، ٢٣٥.

[٨١] ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد، باب فضل الإمام العادل وذم الجائر، قا الهيثمي رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف، ج٢، ص٢٣٢.

[٨٢] مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، ج٣، ص١٤٥٨.

ويترجم النبي الكريم بنفسه هذه المعاني السامية من عناية الراعي مع رعيته أو الحاكم مع شعبه، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: "دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين".[٧٣] وهذا الخليفة المسلم العادل الإمام عمر بن عبد العزيز المتأثر بهذه التوجيهات الكريمة لما ولي الخلافة" خرج ليلة ومعه حرسيّ فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل فعثر به فرفع الرجل رأسه إليه، فقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا. فهَمَّ الحرسي به، فقال له عمر: مه، إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا".[٧٤]

هذه صورة من روائع شريعتنا، وجماليات تراثنا، وحسن معاملة سلفنا لمن هم دونهم من الناس مهما علت بهم الأقدار، ونزلت بسواهم الأحوال فهم يدركون أهمية مثل هذه المواقف والأخلاق في دفع الدعوة، وإصلاح ذات البين. والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة.

---

[٨٣] البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج٧، ص٨٠.

[٨٤] ابن أبي الدنيا، مداراة الناس والصبر على أذاهم، رقم النص، ٢٧٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.
- الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط٣، ٦ أجزاء ، بيروت: المكتب الإسلامي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٣١٦هـ، التاريخ الكبير، ٩ مجلدات، حيدر أباد، الدكن، الهند.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، صحيح البخاري، ٤ مجلدات، بيروت، لبنان: دار الفكر (طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، الجامع الصحيح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ٥ مجلدات، بيروت: دار الفكر.
- ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان البستي، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م، روضة العقلاء، علق عليه وصححه مصطفى السقا، ط١، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط١، مصر: مكتبة الكليات الأزهرية.

- ابن ابي الدنيا، عبدالله بن محمد بن عبيد، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، الصمت وآداب اللسان، تحقيق د. نجم عبدالرحمن خلف، ط١، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- ابن أبي الدنيا، مداراة الناس والصبر على أذاهم، مخطوط.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث.
- سيد قطب، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٠م، في ظلال القرآن، الطبعة الحادية عشرة، ٦ مجلدات، بيروت: دار الشروق.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، ط٢، مجلدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشنقيطي، محمد الأمين مختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٠ مجلدات، بيروت: عالم الكتب.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المصنف معه كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ' ط٢ ـ ١٢ مجلد، بيروت: المكتب الإسلامي.
- الإمام الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، بدون تاريخ، إحياء علوم الدين، بهامشه المغني عن حمل الأسفار بالأسفار للإمام العراقي، ٤ مجلدات، بيروت: دار المعرفة.
- محمد أحمد الراشد، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، العوائق، ط١٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- مالك، مالك بن أنس، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، الموطأ، معه كتاب إسعاف المبطأ للسيوطي، قدم له فاروق سعد، بيروت: دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء: دار الرشاد.
- مسلم بن الحجاج، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ٥ مجلدات، القاهرة: دار الحديث للطباعة والنشر.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٣، ١٨ جزءأ، بيروت لبنان: دار التراث العربي.
- http://teleghma2008.alafdal.net/t92 -topic
- http://www.onislam.net/arabic/ask -the-scholar/8439/8299/49419 -2004-08-01%2017 -37-04.html
http://www.alssunnah.com/main/articles.aspx?article_no=4435

شبكة السنة النبوية وعلومها أ.د فالح بن محمد الصغير.